تفسير إبن كثير

وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

وقوله : (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) قال عبد االله بن كثير ، والسدي : هذه امرأة خرقاء كانت بمكة ، كلما غزلت شيئا نقضته بعد إبرامه .وقال مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده .وهذا القول أرجح وأظهر ، وسواء كان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا .وقوله : (أنكاثا) يحتمل أن يكون اسم مصدر ، نقضت غزلها أنكاثا ، أي : أنقاضا . ويحتمل أن يكون بدلا عن خبر كان ، أي : لا تكونوا أنكاثا ، جمع نكث من ناكث ; ولهذا قال بعده : (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) أي : خديعة ومكرا ، (أن تكون أمة هي أربى من أمة) أي : يحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا إليكم ، فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم . فنهى االله عن ذلك ؛ لينبه بالأدنى على الأعلى إذا كان قد نهى عن الغدر - والحالة هذه - فلأن ينهى عنه مع التمكن

والقدرة بطريق الأولى .وقد قدمنا - والله الحمد - في سورة " الأنفال " قصة معاوية لما كان بينه وبين ملك الروم أمد ، فسار معاوية إليهم في آخر الأجل ، حتى إذا انقضى وهو قريب من بلادهم ، أغار عليهم وهم غارون لا يشعرون ، فقال له عمرو بن عبسة : االله أكبر يا معاوية وفاء لا غدرا ، سمعت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يقول : " من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحلن عقدة حتى ينقضي أمدها " . فرجع معاوية بالجيش - رضي االله عنه - وأرضاه .قال ابن عباس : (أن تكون أمة هي أربى من أمة) أي : أكثر .وقال مجاهد : كانوا يحالفون الحلفاء ، فيجدون أكثر منهم وأعز ، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز ، فنهوا عن ذلك . وقال الضحاك ، وقتادة ، وابن زيد نحوه .وقوله : (إنما يبلوكم االله به) قال سعيد بن جبير : يعني بالكثرة ، رواه ابن أبي حاتم .وقال ابن جرير : أي : بأمره إياكم بالوفاء والعهد .(وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فيجازي كل عامل بعمله ، من خير وشر .